بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 55 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:25\04\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

ما زال الكلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

هذه الآية كما هو واضح تتكون من مقطعين:

المقطع الأول: يرتبط بالآية التي تدل على تدبير الله وربوبيته، هو الذي يرتبط بحركة السفينة في البحر. وشرحت هذا المقطع بشكل مفصل، أشير إلى إشارة صغيرة، وهي كلمة الفلك، هذه الكلمة لمادة واحدة شبيهة بمادة الميم واللام والكاف، بتغير حركاتها يتغير المعنى: مُلك، مِلك، مَلَك، مَلَكَ، وما شابه ذلك.

هذه الفاء واللام والكاف كذلك: فَلَكْ، وهو الشيء المعروف فُلْك، وصادف أن الفَلَك يكون في السماء، والفُلك في البحر وعلى الأرض.

هذه الكلمة لا يفرّق فيها، أي: تأتي صفتها مؤنثة ومذكرة، فمثلاً في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَنْجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[1] لم يقل الفُلك المشحونة، فهو مذكر. وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ﴾ جاءتها، أي: جاءت الفُلك. فمرة تذكر ومرة تؤنث، ومرة يقصد منها المفرد ومرة الجمع.

المقطع الثاني: وهو ما يسمى باصطلاح علماء البيان: بالتتميم والتكميل، فما تذيل فيه الآيات والتي يصلح أن يجري مجرى الأمثال في الاستقلالية وفشو الاستعمال، هذا ينبغي في تفسير الآيات أن نقف عنده، مثلاً: ﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾[2] هذا التتميم والتذييل الذي جاء

[1] الشعراء 119
[2] الإسراء 81

في الأخير يصلح للاستقلالية، لا أنه لا يتم إلا بالشق الأول من الآية، وكذلك يجري مجرى الأمثال في فشو وكثرة الاستعمال، تلاحظ في أي مورد يصلح شاهداً تقول: ﴿إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقا﴾.

هذه الآية التي نبحث عنها في المقام من هذا القبيل: ﴿إِنَّ في ذلِكَ لَآيات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور﴾ كانت تصلح للاستقلال لولا اسم الإشارة الذي يرجع إلى الصدر الذي جاء في هذه الآية، وإلا من بلحاظ المعنى هي تدل على معنى مستقل، أن هذه الآيات الكونية وهذا التدبير الإلهي آية، لكن لكل الناس، هو آية له قابلية أن تكون لكل الناس، ولكن الذي يستفيد منها الصبار الشكور.

﴿وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُور﴾[3] فإن هذه الآية المباركة نزلت الكفار والذين ختم الله قلوبهم منزلة الأموات.

وإلا أصل الآية وأصل البرهان الكوني يصلح لكل من يتأتى إليه النظر، لكن من يتأثر به ومن ينتفع منه ينبغي أن يتصف بهاتين الصفتين على سبيل المبالغة ﴿صَبَّارٍ﴾ مبالغة من صابر ﴿شَكُور﴾ صيغة فعول مبالغة من شاكر، فاجتمع هذان الوصفان الصبّار من الصبر والشكور من الشكر.

وهذا الاجتماع تكرر في القرآن في أربع آيات، منها: هذه الآية في سورة آل عمران، وورد في سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ في ذلِكَ لَآيات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور﴾[4] تلاحظ في هذه الآية يتكلم عن آيات الله ومعجزاته، فمن هذا التذكر من الذي ينتفع؟ هو الصبار والشكور. وفي سورة سبأ: ﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحاديثَ وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ في ذلِكَ لَآيات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور﴾[5] بعد ما طلبوا أن يباعد بين أسفارهم وكانوا قد ظلموا أنفسهم بهذا الطلب وما قبل هذا الطلب، شتتناهم في الأرض، وتباعدت أسفارهم، ولكنهم لم يعتبروا؛ لأن الاعتبار بآيات الله يختص بالصبّار الشكور. وفي سورة الشورى أيضاً الكلام عن السفن في البحر قال: ﴿وَمِنْ آياته الْجَوارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلام (32) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِه إِنَّ في ذلِكَ لَآيات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور﴾[6] هذه السفن الضخمة التي تراها في

---

[3] فاطر 22
[4] إبراهيم 5
[5] سبأ 19
[6] الشورى 32 - 33

البحر كالأعلام، أي: كالجبال من عظمتها وضخامتها، هذه من الذي يجري بها؟ لو شاء الله سبحانه وتعالى لم يحرك الريح، فماذا يحصل بهذه السفينة؟ يبقين رواكد. هذه الآية التي تدل على تدبيره لا ينتفع منها كل أحد، بل فقط الصبّار الشكور.

إذن نلاحظ مورد تذييل هذه الآيات الأربع بهذه الجملة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يشترك في أنه كان في مورد ذكر آيات الله المعجزة التي تستحق أن يشكر عليها وأن يطاع لأجلها، لكن لم ينتفع بذلك إلا كل صبّار شكور.

لماذا جمع بين الصبّار والشكور؟ بين الصبر وبين الشكر؟ لأن تلك الآيات التي ذكرت وتلك البراهين التي ذكرت في الآيات الأربع من جهة هي نعمة، والنعمة تستحق الشكر، ومن جهة باعتبار كونها معجزة وآية على ربوبية الله وتوحيده فتستحق الطاعة، والطاعة تحتاج إلى صبر، ومن أهم أنواع الصبر الصبر على الطاعة، وروي في بعض الروايات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر[7].

فتكون المعادلة هكذا إن في ذلك لآيات للمؤمن؛ لأن الإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر، إلا أن هذه النعم وهذه البراهين لكونها دائمة ولا تتوقف على الإنسان، فتحتاج إلى مزيد من الصبر ومزيد من الشكر فاستعمل صيغة المبالغة.

﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ لا مجرد الرؤية، هذه الإراءة إيصال الشيء، لا مجرد أنه مثل إنسان يرسم صورة ليراها الناس، هذه الإراءة الإيصال إلى حقيقة الشيء، والاعتبار بهذه الدلائل والمعجزات، ولكن للأسف لا ينتفع منها كل الناس، لا ينتفع منها إلا أوتي قلباً صابراً وشاكراً، اجتماع الصبر والشكر جناحا الإيمان، فعن علي أمير المؤمنين عليه السلام: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ[8]. أي: هو الأساس. ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[9] وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[10] فدوام الاعتبار والانتفاع من هذه الآيات يحتاج إلى مداومة على الطاعة، والمداومة على الطاعة لا

---

[7] هذا النقل من المفسرين، ولم أجد ما يفيد ذلك إلا في بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج79، ص: 137 قوله: الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، ولم أعثر على ما يفيد أن نصف الإيمان الشكر.

[8] الكافي (ط - الإسلامية)، ج2، ص: 88.

[9] البقرة 45

[10] البقرة 153

تكون إلا بالصبر، وباعتبار أن هذه الآيات نعمة من نعم الله تبارك وتعالى فتحتاج إلى مداومة على الشكر، ثم بعد ذلك تابع في الآية الأولى، فقال: ﴿وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.